الحسين

وتشييده صرح الإسلام

بقلم الدكتور عبد الجواد الكليدار

لم تكن في التاريخ حادثة بأروع وأفجع من مأساة الطف، تلك المأساة المؤلمة الهائلة التي تردد صداها الى الآن ، وتعاد ذكراها الخالدة في كل عام . ولا شخصية فذة باعظم من شخصية الحسين التي تخلدت خلود الاماد والأدوار على سجل الأيام.

حقاً ، فان مصيبته من اعظم المصائب في التاريخ لا يمكن ان توزن بالموازين المعروفة ولا ان تقاس بالمقاييس المألوفة في هذا العصر ، وهذا ماجعل للحسين عليه السلام منزلة سامية في نفوس الأحرار والمخلصين والمفكرين في كل عصر وزمان ومنحه تلك المكانة العليا في التاريخ الاسلامي .

والحسين حقاً هو ثالثة الأثافي في بناء الدين من بعد جده وابيه ، إذ لولا الحسين لما بقي للاسلام من ذكر او اثر ، وتلك حقيقة قد اجمع عليها المؤرخون من قديم وحديث . ولا يكون القول جزافاً او مبالغاً فيه بأن بقاء الاسلام في العالم كان متوقفاً على السبط ، وان المسلمين في اقطار الارض مدينون له اليوم بنعمة الدين، لأن كلمة «لا إله إلا الله» انبعثت ثانية الى العالم من مرقد الشهيد بن الشهيد أبي الشهداء .

فان الرسول الاعظم قام بالدعوة لهذا الدين فهو المؤسس له ، وان علياً دافع عن الدين بسيفه وتبنه فهو المؤيد له، وان السبط حافظه من الفئة الباغية فهو المشيد له . إذ لولا محمد لما كان الاسلام ، ولولا علي بسيفه لما قام الاسلام ، ولو الحسين بتضحيته في سبيل الدين لما بقي الاسلام .

وبغض النظر عن كل شيء ، فان تاريخ بناء الاسلام وتشييد صرح هذا الدين في العالم هو في الحقيقة ونفس الواقع ينطوي في تاريخ هؤلاء الثلاثة من عظماء هذا الدين : محمد وعلي والحسين الذين كانوا للاسلام ولهيكله المعنوي والمادي بمثابة الرأس ، واليد ، والقلب ، كتأثير هذه الاعضاء في الهيكل الانساني .

وكان الحسين عليه السلام هو القلب النابض لهذا الهيكل وعليه كانت تتوقف حياته ، فلو كان هذا القلب يتوقف ولو لحظة واحدة عن العمل لكان يتحقق به الموت للهيكل لامحالة ، ولم يستطع هذا القلب من الوقوف وبه كان موت الاسلام والقضاء على دولة الدين والرشد في دولة الكفر والغي . وهذا مايأباه الحسين على كل حال وهو وريث هذا التراث الاوحد من جده وأبيه .

وكان عهد الحسين بعد أخيه الحسن وتبوء يزيد بن معاوية كرسي الحكم ، عهداً اضطرته الاحوال بحكم الظروف الى النزال حفظاً للدين وصوناً للاسلام ، وهذا امر لابد منه في مثل تلك الاحوال في نظر التاريخ . إذ أن هذا العهد ، باتفاق المؤرخين المتقدمين منهم والمتأخرين ، لم يكن يتسم في شيء منه بالسمات الدينية ، او يتصف بالصفات الاسلامية ، أو على الاقل بالمثل العليا الانسانية . وما اظهر من قول العلائلي « سمو المعنى ص ٩ » في ذلك :

[ان نظام الحكم في عهد الملوك الامويين لم يكن الا مانسميه في لغة العصر بـ [نظام الاحكام العرفية] هذا النظام الذي يهدر الدماء ، ويرفع التعارف على المنطق القانوني ، ويهدد كل امرىء في وجوده .

مقال الاستاذ الكريم « شلق » عملا بحرية النشر واحتراما لحرية الرأي ، ونحن في الوقت الذي نكبر قومية الاستاذ وحماسه الوقاد نقول له :

ان ذلك القبر « الصامت » الذي قصدت أنطاق من الوف الخطباء المفوهين فهو لا يزال ولن يزال يرسل اشعة الايمان والانتصار للحق ، والتمسك بالعقيدة الى جميع ارجاء الارض فينير قلوب الملايين من الاحرار المتلهفين لذلك القبس المتوهج بالوانه الباهرة التي تدفع المترددين والمتخاذلين أمام جبروت الباطل ان ينطحوا صخرته فتتبعثر بعيداً عن طريقهم الواضح

وان تلك الدموع قد تنقلب الى دماء متفجرة تتدفق بسخاء في سوح الجهاد ، والقلوب المحتدمة بضرام الحق لا بد لها ان تطفىء ذلك السعير المتأجج بدمائها في سبيل المبدأ الذي سنه أبي الضيم الامام السبط ، وان تلك الاقدام ستخطو ثابتة متزنة وستسعفها العيون غير [العشواء] ـ تلك العيون النافذة البصر ، وتلك القلوب الزاخرة بانوار الايمان للاهتداء الى [منافذ الدروب] .

البيان

وكان هذا النظام في العهد الأموي هو النظام السائد].

أو من قول (فان فلوتن) المستشرق الهولندي في كتابه [السيادة العربية ص ٢٦] بما نصه :

[لذلك لانعدش اذا كانت الروح التي سادت في عهد بني امية روحاً غير دينية، ولن تعوزنا الأدلة على صحة مانقول] فخليق بمن يدرس تاريخ الحسين وحركته ان يأخذ بنظر الاعتبار ما كان يحيط بعهد كان بوضعه أبعد مايكون عن عهد الرسالة والمبادئ الاسلامية . فان ماحدث بعد وفاة صاحب الشريعة كان له الاثر البليغ في تعجيل الحوادث لظهور الامويين قدامى مشركي قريش على مسرح التاريخ في الاسلام وتمهيد الطريق لقتل الحسين ريحانة الرسول على ملأ من المسلمين وبنصف قرن فقط على وفاة جده تتميما لخطة معينة فكان العهد بعيداً عن مرامي الدين ، مليئاً بالجرائم والاثام ، محيطاً بالارهاب والاجرام ومن ثم بالتشديد والتضييق والضغط والاضطهاد لم يتعرف بشيء من الحرية والدمقراطية فكيف بالمبادئ الدينية السامية ، أو المثل الاخلاقية العليا للاسلام لما اشتمل عليه هذا العهد من الخروج على العدل ، ونزوع الى الظلم ، وخرق في الرأي ، واستهتار في الحكم ، واستباحة للمقدسات ، وانتهاك للحرمات ، وافساد للاخلاق العامة بشتى الطرق والاساليب ، واحياء للعصبيات الجاهلية ، واحلال الرذيلة محل الفضيلة ، والخداع محل الصدق ، والظلم محل العدل الى غير ذلك من مساوئ هذا العهد الذي كان يغاير الاسلام في الاتجاه وهل كان ذلك وليد يومه دفعة واحدة ؟

وتلك صورة مصغرة لعهد كان الحسين عليه السلام يجابهه في بداية عهد الاسلام وحداثته ، فهل لايقدم على الاصلاح بكل ماأوتي من حول وقوة في سبيل بعث الاسلام ثانية الى الحياة ؟ وقيام الحسين بوجه الطغيان المتفاقم لم يكن الا بمثابة نهضة جديدة متممة لعمل جده في تشييد صرح هذا الدين . فهو بحق ثالثة الاثافي في بناء الاسلام ، ولولاه لمابقي لهذا الدين من ذكر او أثر فانت ياأبا عبد الله رمز الحق ، ورسم الحقيقة ، ومظهر الدين ومطهره ، وبطل التضحية في سبيل الاسلام والمسلمين .

فسلام عليك يوم ولدت ، وسلام عليك يوم قتلت .

كاظميه — عبد الجواد الكليدار

علمتنا حادثة كربلاء

للعلامة الشيخ علي كاشف الغطاء

اذا كان في التاريخ عبر وعظات : فهي تتجلى في واقعة كربلاء الواقعة التي تعطي للانسانية مدى التضحية للمبدء المقدس والفناء في سبيل الحق .

علمتنا هذه الواقعة التاريخية ان الدفاع عن الواجب وإن فشل بادي بدء لكن الفوز المبين كائن معه لامحالة. فان الظفر بالعظمة الأدبية والذكرى المجيدة هي الامنية الاولى للانسانية وانشودة ابطال المجد والتاريخ وما الذين كرسوا حياتهم في البحث والتأليف اوعصروا افكارهم في الجد والعمل اوافنوا زمانهم في استثمار عقولهم في عالم الاختراع إلا ليتالوا هذا الحياة الخالدة والذكرى المجيدة : علمتنا هذه الحادثة العظمى ان قوة الايمان الصحيح تلك القوة العتيده الجبارة لاتنشد من وراء الحياة المادية الا التضحية للواجب واعلاء كلة الحق والفناء في سبيل المبدء السامي الذي ارخصت فيه النفوس ابطال المجد الاسلامي ورجال التاريخ العربي : علمتنا هذه الكارثة الكبرى الخطط التي يجب ان يتخذها القادة والخطوات التي يتبعها الساسة لتبعثهم نحو اعلى عليين في بروج قد شيدها العزم والثبات ، وارتكزت على اساس انكار الذات .

علمتنا ان الصراع بين الحياة الروحية والمادية تكون نتيجة الفوز للأولى دون الثانية ، وان استندت للتاج والصولجان واعتمدت على الرمح والهندوان .

علمتنا كيف تفرض العبقرية الخالدة على الناس تمجيدها على ممر الزمن مهما تقلبت العصور واختلفت القرون علمتنا...

النجف — علي كاشف الغطاء

للشيخ سالم الطريحي

وبقى ابن النبي لم ير عوناً ... في الوغى غير ذابل ورهيف

فانثنى للنزال يكتال آجا ... لا فوّفى بالسيف كل طفيف

كم جيوش يلفها بجيوش ... وزحوف يلفها بزحوف

كلما هم ان يصول عليهم ... همت الارض خيفة برجيف

لم يزل يورد المواضي نجيعا ... من رقاب العدى بقلب لهيف

فدعاه داعي القضاء فألوى ... عن هوان لدار عز وريف